

إسلاميو الغرب.. جهاد حربي وسياسي وقضائي

قانونية ضد حرية التعبير ومن أجل نشر الشريعة في العالم. وكما هو معلوم، فإن الحكومات الأكثر دفاعاً عن إصدار قانون يجرم ما يطلق عليه ممثلوهم في الغرب بـ "الإسلاموفوبيا" هي الحكومات الأكثر معاداة للمسيحية والأكثر لا تسامحاً مع غير المسلمين، كباكستان والسعودية والسودان وتركيا التي تنكر مذنبه نصف مليون من المسيحيين والأرمن والأرمنيين.

والأغرب أن باكستان هي من بين أكثر البلدان المنضوية تحت لواء منظمة المؤتمر الإسلامي ضراوة في المطالبة بتجريم "الإسلاموفوبيا". هذا البلد الذي يمارس قمعاً رسمياً على الأقليات من خلال قانون عقوبات يسخر للحكم بعقوبة الإعدام على كل من اتهم بازدراء الدين الإسلامي أو المتهم بالتنصير المسيحي.

حميد زناز
كاتب جزائري مقیم
في فرنسا

يبدو أن الغرب بدأ يرضخ شيئاً فشيئاً لضغوطات الإسلاميين وعلى رأسهم الإخوان المسلمون، الذين يحاولون اختبار رد فعله تجاه ضغوطات ممنهجة تستهدف فرض رقابة وحجر على الفكر في عقر داره تطبيقاً لما يسمونه شريعة إسلامية. فهل يتحول الغربيون إلى ذميين على أرضهم؟

في بلد فولتير يمارس الاستهزاء وحتى الشتم ضد الكنيسة الكاثوليكية وغيرها دون أن يندد بذلك أحد رسمياً. ولكن حينما يتعلق الأمر بالديانة الإسلامية اليوم، فالذين يحملون وعياً شقيفاً كمستعمرين سابقين من إعلاميين وسياسيين ومثقفين قد سقطوا في فخ الإسلاميين المزدوج: فخ المتعصبين الذين يرفعون ويقتلون، والمتعاملين مع السلطة المتحاورين الرسميين معها الذين يضعون تجريم "الإسلاموفوبيا" كشرط لفرض العنف الإرهابي.

ولتجنب القلاقل وتهدة الغاضبين راح المسؤولون الغربيون يعتذرون أفراداً وجماعات عن كل ما يعتبره الإسلاميون "أفعالاً إسلاموفوبية" كنفذ بعض السلوكيات المنتشرة بين المسلمين كارتداء النقاب أو تزويج الصغيرات أو ختان البنات أو الصلاة في الشوارع... هي آراء أفراد ولا مسؤولية قضائية فيها لا للحكومات الغربية ولا للجماهير الشعبية بأي حال من الأحوال. وحينما يرتك المسلمون ويتراجعون أمام الضغط الإسلامي، فكانهم يعترفون بضرورة تقييد حرية التعبير. وهو خطأ استراتيجي، إذ كلما تراجع أنصار الحرية كلما ازدادت طلبات الإسلاميين أكثر فأكثراً وكلما حوكم صحافي أو سينمائي أو أي إنسان بغضب الإسلاميين فهذا يشجعهم على الضغط أكثر.

لقد ثمن الناطق الرسمي باسم الإخوان المسلمين محمود عزّان انتقادات الحكومة الفرنسية الجريفة الهزلية شارلي إيبندو ودعا مباشرة الدولة الفرنسية إلى سن قوانين لتجريم "الإسلاموفوبيا" معتبراً الأسبوعية متحاملة على الإسلام. مثل تلك المواقف هي التي حرّضت الإخوة كواشي على ارتكاب الجريمة الشنيعة ضد صحافيي الجريدة.

أما منظمة المؤتمر الإسلامي، وتحت يافطة الدفاع عن الأقليات المسلمة المهتدة، تستعمل كل ضغوطها من أجل عدم اندماج المغتربين المسلمين في المجتمعات الغربية التي يعيشون فيها. حكومات غربية رمت بالمغتربين في أحضان الإخوان المسلمين استجابة لضغط عرابيهم في منظمة المؤتمر الإسلامي. المنظمة التي تحاول منذ 1999 فرض مفهوم "تشويه وازدراء الديانات" و"الإسلاموفوبيا" على الساحة القانونية الدولية، وهي أسلحة حرب

متى تدافع الديمقراطية عن أسسها بجديّة أمام هجمات الأصوليات المتخفية تحت يافطة التسامح واحترام الثقافات؟

ورغم هذا الظلم الممارس من البلدان المنضوية تحت لوائها، لا تتورع منظمة المؤتمر الإسلامي في المطالبة من الديمقراطيات الغربية بمعاينة ما يسمى "إسلاموفوبيا". وجراء ذلك الضغط، أصبحت سياسة الكيل بمكيالين واضحة في مجلس حقوق الإنسان التابع للأمم المتحدة، إذ تتم إدانة ما يسمى "الإسلاموفوبيا" في الغرب بشكل علني ورسمي، بينما يبقى غير مدان وغير معترف به ذلك القمع المسلط فعلياً على المسيحيين ومختلف الأقليات في السعودية وباكستان والسودان ونيجيريا ومصر وغيرها من البلدان.

ويبدو واضحاً اليوم تواطؤ البلدان الغربية في الهيئات الأممية من أجل إصدار العقوبات ضد الدول التي تهدد مصالحها الاستراتيجية والبيروقراطية المالية للروس والصينيين والإيرانيين وغض الطرف دائماً عن البلدان ذات التوجه السني التي يضطهد فيها المسيحيون والشيعية وكل الطوائف والاعتقادات الأخرى. متى تدافع الديمقراطية عن أسسها بجديّة أمام هجمات الأصوليات المتخفية تحت يافطة التسامح واحترام الثقافات؟ متى تهضم تلك الأصوليات أن بعض المبادئ كونه وغير قابلة للتفاوض والتكيف مع الفهم الديني للعالم؟ فهل على الديمقراطيات أن تقبل مثلاً العبودية أو دنوية المرأة أو نظام التراتبية الاجتماعية أو التضحية بالبشر بدعوى أنها مسموح بها في بعض الديانات؟



تسميم عقول الأطفال

الحوثيون يعيدون إحياء الإمامة الزيدية في اليمن بمواصفات إيرانية

تفكيك النظام الجمهوري وتأسيس جمهورية إسلامية مرشدها الحوثي

ويعد الحوثيون إلى غلق المحلات التجارية التي تباع الملابس والفساتين المخالفة لمعتقداتهم أو يحرقون بضائعهم. كما اعتقلوا الشباب الذين يتميزون بقصات شعر تنتهك تعاليمهم. وشنوا "حملة أخلاقية" في مارس الماضي، لإغلاق مقاهم مختلفة في صنعاء. واقترحت ميليشياتهم مهقسي خاصاً بالنساء وطالبت بإغلاقه.



نيل البكري
الحوثيون يعتقدون أنه لا يجوز لأحد سواهم أن يحكم اليمن

فؤاد راجح
الجماعة تعمل على تغيير اليمن إلى دولة دينية متشددة

وذكرت صاحبة المقهى، شيماء محمد، في منشور على فيسبوك أعلنت فيه إغلاق المقهى، أن "رجلاً مسلحاً ملأوا الشارع ووجهوا الشتائم إلى النساء أثناء مغادرتهن. وأنه يجب أن تكون النساء في بيوتهن. لماذا يخرجن للأماكن العامة؟"

وعلى الرغم من أن اليمن قد احترق في السابق الحريات الفردية وكذلك الأنشطة الترفيهية والثقافية الأخرى، إلا أن الحوثيين يحاولون تقويض قيم المجتمع اليمني، كما سعوا إلى محو التراث الثقافي التاريخي لليمن خلال توسعهم وأفرغ الفصيل الطائفي المتشدد المتاحف من قرون مختلفة أو حتى قطع أثرية عمرها الآلاف من السنين. كما يتهم السكان المحليون الفصيل بقصف متحف في تعز منصوص في التراث اليمني.

وأضاف راجح أنه مع تعدد الفصيل إقرار اليمنيين، "من المهم أيضاً إخبار العالم بأن أحد الأهداف الرئيسية للقادة الحوثيين هو القضاء على التراث الثقافي الذي يميزهم وشركات وسيارات فاخرة واستثمارات ضخمة".

ووقعت أنماط الحياة المترفة هذه بالعديد من اليمنيين والمراقبين إلى الاعتقاد بأن الحوثيين يستخدمون عقيدتهم فقط كوسيلة للسيطرة على المجتمع ووقف المعارضة لقادة الجماعة. ويركز الحوثيون حالياً في صراعهم الشديد في محافظة مارب منذ يناير الماضي على محاربة القوات المحلية والحكومية، هو ما بنى بان صراعهم أيديولوجي قبل أن يكون صراعاً سياسياً. لكن على الجانب الآخر فإن هذه المعركة تهدد حريات اليمن وأساليب عيشه.

وطالب الباحث جوناثان فينتون-هارفي المجتمع الدولي بأن يدرك طبيعة الحوثيين الحقيقية، بدلاً من رؤية الحرب فقط من خلال عدسة سياسية، لتحقيق نظام عادل لليمنيين.

نمو السلفية، بينما تدعم أولئك الذين تم تهميشهم اقتصادياً وسياسياً بعد سقوط الإمامة.

وبحسب أحد المقيمين في العاصمة اليمنية صنعاء التي يسيطر عليها الجماعة، فإن الحوثيين أسسوا مدارس ومؤسّسات جديدة في صنعاء لنشر أيديولوجيتهم بين الطلاب الشباب والجمع بين شكل عام طرفة توسعهم، مع تعزيز الفكر الأيديولوجي الإيراني.

وقال الباحث اليمني فؤاد راجح "يستخدم الحوثيون الآن القنوات التلفزيونية والإذاعية وجميع أشكال الإعلام، بينما ينظمون المدارس والمساجد والمناسبات الاجتماعية، من خلال استبدال معلمي المدارس والكليات ورؤسائها بمؤيديهم، كل ذلك لفرض أيديولوجيتهم في المناطق التي يسيطرون عليها. إنهم يغزرون المناطق الواقعة تحت سيطرتهم تماماً من يمن يتجه نحو مستقبل ديمقراطي ومزدهر إلى دولة دينية متشددة تقدم مثال إيران لدولة ثيوقراطية ثورية".

وفي معقل الحوثيين في صنعاء، اندخلت الجماعة في فبراير الماضي على المدارس مقاطع فيديو يومية لمحاضرات يلقيها يحيى الحوثي شقيق الزعيم عبد الملك الحوثي. وبحسب بعض أولياء أمور الطلاب، فإن الحوثيين استخدموا هذه المحاضرات "كمحاولة لتحويل الأطفال إلى أتباع، وجذبهم إلى معاركهم وفقاً لتوجيهات الزعيم الحوثي لإشباع رغباته من خلال السيطرة على اليمنيين وحكمهم".

ويعود استخدام المدارس كمحاور للتجنيد إلى حروب صعدة، حيث أرسل الحوثيون عشرات الآلاف من الشباب إلى المعسكرات الصيفية والبرامج الاجتماعية أو التعليمية لتلقيهم عقيدة الانخراط في المعارك. وفي الأونة الأخيرة قاموا بتمجيد حلقاتهم في هذه البرامج، وخاصة إيران، مما يشير إلى تحول الحوثيين نحو طهران.

وقال أحد سكان صنعاء إن الحوثيين يريدون أيضاً جعل الجيل القادم جاهلاً وغير متعلم لتسهيل السيطرة عليه. وأضاف أن الجماعة فرضت ضرائب باهظة على المدارس الخاصة، مما صعب المهمة على أولياء الأمور للوصول إلى تعليم ذي قيمة.

وتعمل الجماعة على ضرب التقاليد الثقافية اليمنية المتأصلة أصلاً، لاسيما تلك التي تعارض مع قيم الفصيل.

ينخرط الحوثيون في صراع أيديولوجي لإعادة إحياء الإمامة الزيدية في اليمن لكن هذه المرة بمسحة إيرانية مقترنة بولاية الفقيه، حتى لو كان ذلك يعني إفقار اليمنيين وتقسيمهم تحت ذرائع شتى، منها التركيز على الجوانب السياسية في حرب اليمن كشوق لهم بتمرير أجندتهم الطائفية.

وكتب هارفي في تقرير بموقع "إنسايد أرابيا"، "هذا جزء أساسي من رغباتهم في تشكيل نظام صارم يتمتع من خلاله قادة الحوثي بالسلطة المطلقة".

بينما يرى البكري أن "الحوثيين يسعون إلى تكرار الإمامة الزيدية مع إدخال بعض التعديلات اليوم، مقتبسة من التجربة الإيرانية، ليبقى اليمن جمهورية، لكن جمهورية إسلامية مثل إيران، وعبد الملك الحوثي هو مرشدها العام وحاكمها الحقيقي".

وانبثق الفصيل من صنعاء كحركة إحياء صغيرة في عام 1992، ثم عُرفت باسم حركة "الشباب المؤمن" وُزعت الحركة أنها تحمي الزيدية الأصيلة من العام وحاكمها الحقيقي".

وانبثق الفصيل من صنعاء كحركة إحياء صغيرة في عام 1992، ثم عُرفت باسم حركة "الشباب المؤمن" وُزعت الحركة أنها تحمي الزيدية الأصيلة من العام وحاكمها الحقيقي".

وسعى الحوثيون منذ سنوات إلى تغيير المجتمع اليمني بتحويله إلى المذهب الزيدي الذي تتبناه هذه الجماعة. وقال نيل البكري، الباحث اليمني المقيم في إسطنبول لموقع "إنسايد أرابيا" الأميركي المهتم بسياسات العالم العربي، "اعتقادهم الأساسي هو أنه لا يجوز لأحد سواهم أن يحكم".

وانبثق الحوثيون من صنعاء كحركة إحياء صغيرة في عام 1992، ثم عُرفت باسم حركة "الشباب المؤمن" وُزعت الحركة أنها تحمي الزيدية الأصيلة من العام وحاكمها الحقيقي".

وانبثق الحوثيون من صنعاء كحركة إحياء صغيرة في عام 1992، ثم عُرفت باسم حركة "الشباب المؤمن" وُزعت الحركة أنها تحمي الزيدية الأصيلة من العام وحاكمها الحقيقي".

وانبثق الفصيل من صنعاء كحركة إحياء صغيرة في عام 1992، ثم عُرفت باسم حركة "الشباب المؤمن" وُزعت الحركة أنها تحمي الزيدية الأصيلة من العام وحاكمها الحقيقي".

وانبثق الفصيل من صنعاء كحركة إحياء صغيرة في عام 1992، ثم عُرفت باسم حركة "الشباب المؤمن" وُزعت الحركة أنها تحمي الزيدية الأصيلة من العام وحاكمها الحقيقي".

وانبثق الفصيل من صنعاء كحركة إحياء صغيرة في عام 1992، ثم عُرفت باسم حركة "الشباب المؤمن" وُزعت الحركة أنها تحمي الزيدية الأصيلة من العام وحاكمها الحقيقي".

وانبثق الفصيل من صنعاء كحركة إحياء صغيرة في عام 1992، ثم عُرفت باسم حركة "الشباب المؤمن" وُزعت الحركة أنها تحمي الزيدية الأصيلة من العام وحاكمها الحقيقي".



ظاهرة أيديولوجية تغذيها المصالح السياسية